

إن كنتم تفكرون في خطوة.. فسمو
ولي العهد رئيس الوزراء يفكر بعشر



هناك فرق بين دولة تنتظر انتهاء الأزمة كي تستأنف عملها، ودولة تغيّر مكان العمل لكي لا يتوقف، والسؤال الأصعب في إدارة الأزمات ليس دائماً: ماذا نفعل عندما تتغير الظروف؟ بل: ماذا نفعل عندما يصبح المكان نفسه جزءاً من التحدي؟

في جازرة البحرين الكبير
 للفلمو مولاً 2026 لعام، لكن
 الإجابة إلغاء الحدث، بل نقله إلى حلبة
 سيبانغ الدولية في ماليزيا، مع بقاء
 اسمه الرسمي: Formula 1 Gulf Air Bahrain Grand Prix in Malaysia
 2026، وهنا تخمين القصة: فالمكان
 ماليزيا، لكن الاسم بقي البحرين. وقد
 يتبدو الجملـة بسيطة، لكنها تـخصـص
 معنى يتجاوز الرياضة، فهناك فرق
 بين أن نقف دولة حذاً دولياً، وأن
 نتقل موقعه مع المحافظة على هويته
 وحضوره، لأن الجغرافيا تحدد أين
 يقع الحدث، أما الحضور فيتعلق
 بالقدرة على إيقاظه في المشهد، ولذلك
 لا ينبغي قراءة ما حدث باعتباره نقل
 سباق من حلبة إلى أخرى فقط، فهذه
 أمماتولة عالمية لها متطلبات فنية،
 تنظيمية وتجارية وأمنية، وقرق
 مرتبطة بجدول دولي دقيق، ونقل
 جازرة خلال موسم قائم يعني
 تشويقاً معقداً بين دول ومؤسسات
 وشركاء في فترة محدودة.

وهنا يظهر البعد السياسي والإداري للقرار: فقد تعامل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة، ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، مع المتغير بمنطق صناعة البديل. لا بمنطق انتظار الأزمة، كما فعل في السابق السؤال: هل ستقام مجازات البحرين؟ أصبح: أين ستقام، وكيف تحافظ على اسمها وهويتها وحضورها الدولي؟ وهذه النقطة في صياغة السؤال هي في حد ذاتها فلسفة إدارة. فممن ينبغي أسير الأسرى الأول يبقى السؤال: أسير المشكلة، أم من ينقل إلى السؤال

الثاني فقد بدأ بالفعل في صناعة الحل. ومن هنا يمكن القول: ولأن يراهن على أن الظروف يمكن أن تعطل البحرين، عليه أن يفهم معادلة بسيطة: إن كنتم تفكرون بخطوة... فسمو ولي العهد رئيس الوزراء يفكر بعشر. والمقصود بالاعتناء بأفكاره على توقع كل متغير، بل فلسفة الإدارة الاستباقية: أن تبني السيناريوهات والبدائل قبل أن تتحول المشكلة إلى أمر واقع، فأن تفكر بعشر خطوات لا يعني أنك تعرف ما سيحدث في الخطوة العاشرة، بل يعني أنك أتجد نفسك بلا خيار عند الخطوة الأولى. وهذه هي إدارة المخاطر: فالقيادة التي تبني التفكير بعد وقوع الأزمة تكون قد خسرت جزءاً من الوقت، أما التي تبني خياراتها مسبقاً فتستطيع الانتقال من مسار إلى آخر دون أن تفهم الهدف. ومن هذه الزاوية نقسم أهمية العلاقة البحرينية الماليزية، فماليزيا لم تكن مجرد موقع بديل، بل هي شريك أساسي في دفع الحدث لم يكن ممكناً بقرار بحريني منفرد، بل بتعاون بين البحرين وماليزيا و Formula 1، والاتحاد الدولي للسيارات و FIA، وهنا يظهر درس مهم في العلاقات الدولية:

الدول لا تواجه الأزمات فقط بل
ملكيه داخل حودها، بل أيضا بمقتضى
نارجها من علاقات قديمة وشركات
في الظروف الطبيعية تبدو العلاقات
الديبلوماسية جزءاً من العمل السياسي
تقليدي، لكن قيمتها الحقيقية تظهر
عندما تتحول إلى خيارات عملية، و
السياسية إلى تعاون تنفيذي في حدث
العمل شديد التعقيد، لكن الصورة لا
تتغير عند القيادة وحدها، فهناك مفهوم
جزءاً من فلسفة الإدارة في
البحرين: فريق البحرين، والقوة ليست
في اتخاذ القرار فقط، بل في وجود
مؤسسات قادرة على تحويله إلى واقع؛
من الكفاءات الجريئة وفريق حلبة
البحرين الدولية والجهات الحكومية
والعظمى والإعلام الوطني والشركاء
والقوة الفنية والعلمية خلف المشهد
في جانب التعاون الوثيق مع الجانب
الماليزي والشركاء الدوليين.
فالحديث العالمي لا ينتقل بخطاب،
بل يُدار بتصریح، ولا يُنجز بقرار
وحده، بل يحتاج إلى منظومة تفصيل
في عشرات الإجراءات ومئات المناقصات
لم تعد جميعها في مشهد واحد،
ومن التخصيص المعقدة في علاقات
البحرين: القيادة صنعت القرار... وإدارة
البحرين تحول القرار إلى واقع. أما
فمناقشة الأمر فهي أن اسم البحرين لم
يخفف عندما تغير المكان، بل أصبح
موجوده أكثر دلالة، فمن كان يتوقع أن
يرى البحرين غائبة عن المشهد، وجد
بسم البحرين هذه المرة على حدة
بعد آلاف الكيلومترات عنها، ولهذا
سأله تتجاوز الرياضة: قد تفرض
الظروف الصعبة المكان، لكنها لا تفرض
التغيير غياب الحضور، وقد تفرض
الخطة دون أن يتغير الهدف، ولهذا
إن القدرة الحقيقية للدولة لا تظهر
عندما تسير الأمور وفق ما تنطوي
عليها، بل عندما يتغير المشهد ويتخطى
إدارته على إعادة ترتيب أوضاعه، وربما

تستطيع الظروف أن تنقل البحرين من مكان، لكنها لا تستطيع بسهولة إخراجها من المشهد، ويكفي أن تقرأ اسم السباق: Formula 1 Gulf Air Bahrain Grand Prix in Malaysia 2026؛ الحلبة في سيبانغ، والشريك الرئيسي، لكن البحرين بقيت في الاسم، وفي الحدث، وفي المشهد الدولي، ومن منظور الاتصال الاستراتيجي وإدارة السمعة فإن لهذا المعنى قيمة كبيرة، فسمعة الدول لا تبني فقط في الظروف الطبيعية، بل أيضاً من الطريقة التي تتصرف بها عندما تتغير الظروف، ومن السهل تنفيذ خطة عندما يسير كل شيء كما هو متوقع، أما الاختلال الحقيقي فيجباً عندما لا تسير الخطة كما تبتدئ، وعندها يظهر الفرق بين إدارة تعرف طريقاً واحداً، وإدارة تعرف كيف تصنع طريقاً آخر، وهذا ما يجعل نقل جائزة البحرين الكبرى إلى ماليزيا نوعاً ما إدارة الأزمات أكثر منه قصة رياضية؛ سؤاله اشتغال من سؤال: ماذا خسرتنا؟ إلى سؤال: ماذا نستطيع أن نفعل؟ ومن محاولة إعادة الواقع إلى خطة، إلى إعادة تصميم الخطة لتتاسب الواقع. وهذا ما فعلته البحرين: لم تنتظر الظروف لكي تتغير، بل غيّرت الظروف للتعامل معها، لتجعل تغيير المكان مرادفاً لغيابها، ومن أراد أن يفهم معنى التفكير بعشر خطوات فلن يجده في الشارات، من سيحده في بداية أصبح ممكناً عند الحاجة، وفي عقل دولية تحولت إلى حل، وفي فريق استطاع أن يحول القرار إلى فعل، وقد تستطيع الظروف أن تغير الطريق أمام البحرين، لكنها لا تستطيع أن تقرر أين تتوقف البحرين، وحين تكون خلف القرار قيادة ترى أبعد من الأزمة، وخلفها فريق يعرف كيف يحول القرار إلى فعل، يصبح التحويد مجرد طريق آخر إلى الهدف.

○ خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه على ربه خلقه، وأسجد له ملائكة بعد أن نفخ فيه من روحه، إلا إبليس أبى واستكبر؛ ومنعه العقل الذي فيه، بعد أن علم آدم كل الأسماء، وأسكنه هو وجمعه الجنة، ولكن آدم «بأبى البشرية» عصي ربه ثم دُمج، ولكنه خسر جنته بعد أن أبى عليه أنزله إلى الأرض، ليكون أرباب الإبداء والموت؛ له وقد منحه إرادة الحرة ليختار بين الخير والشر، وبين الطريق الأبدي المستقيم، وطريق الشيطان وخطواته المختلفة؛ لكي يعصروا الأمانة وتعاقب الحضارات بين الشيطان وذريته راصداً له، مدركا لضعفه أمام غرائزه وشهوته ومطاعه، ونفسه الأمارة بالسوء؛ فلهب عليها هو الخير بغرات النفس الإنسانية، التي ظل يحاول عليها منذ آدم وحتى يوم القامة؛

○ هذا الكائن العاقل المفكر ذو القدرة على التفكير لمجرد: المبدع والفنان، الذي بحث عن التميز والخلاق لجسمته أسطورة جلاشتم، هو نفسه الذي يبتكلك حرية الإرادة لأن أعلى أساليبها يُبَاق أو يعاقف في الآخر؛ بل إن تبعات اختباره تردت عليه حتى وهو يسي هذه الدنيا الفانية؛ هذا الإنسان المكرم، خليفة الله في أرضه، هو الذي عمل الشيطان وزنيته وأتباعه وشياطين الجن والانس على استلاب إنسانيته بكل الطرق؛ حتى وصل الأمر اليوم في ظل التطور العلمي والتكنولوجي إلى مخاطر وجودية، والتطور نحن معه طاملا كما في خدمة البشرية والإنسانية، ولكن إذا استغنى استخدامنا بشكل شير، وصل الأمر معه إلى استغناء الإنسان، وصناعة آلات وروبوتات وذكاء الاصطناعي فوق الذكاء البشري، فإن هذا التطور أصبح تطوراً شيرياً يسيطر عليه الدجال، أو رعاة الدجل العلمي باسم التطور؛ الذي نحن خلاله نعد إحلال العالم

الصناعي أو الفائق من العقل البشري، الذي خلقه الله؛ فإذا بالآلة تزداد أن تتفوق عليه، وهو ما يهدد من القاطنون على الذكاء الصناعي أنفسهم، وهو ما علموا جيداً أن تحذيراتهم بالخطر على الإنسان والبيئة البشرية في مرحلة دافمة لا مكان لها إلا العراب. نُنْ خط البيان التطوري للذكاء الصناعي في تصاعد اسم؛ وتنافس كبير بين الشركات المنتجة، خاصة دول أو القوى الكبرى التي تتنافس شركاتها في تطوير هذا الذكاء إلى الحد الذي بلغه اليوم في قدرة الآلة على تطوير نفسها من دون سيطرة من الإنسان؛

○ هنا نطرح ما لم يتم طرحه سابقا وهو أن
يصل التطور التكنولوجي إلى هذا الحد الذي يشكل
فيه خطورة على الانسان هو لأمرين:

أولاً: تحدى الخالق فيما خلق من تكريم الإنسان
سلسلي كل مخلوقاته، وأصحاب هذا التطور ومنهم عبدة
الشياطين، يرددون ذنائب أنهم قادرون على صناعة آلة
أو إنسان آلي فائق الذكاء، يستحكم في الإنسان الطبيعي
وذي خلقه الله بل ويتفوق عليهم، وفي تصوراتنا أن كل
من بنا فيه أمرهم وتفكيرهم، وتطورهم، هو بيد الله
حده، مهما ظنوا أنهم المسيطرون!

ثانياً: يحاول عبدة الشيطان وإتباعه السيطرة على الإنسان، وعلى إراثته الحرة، وعلى عقله الذي خلقه الله به، وعلى البرجة الإلهية فيه أو الفطرة أو صفة التي صبغ الله بها، ليعلن إلبس انتصاره على الإنسان صبغ الله وعقله وفطرته، وتغذي ما انتظره من العقبة النهائية على الإنسان منذ مظهر من الجنة، وإعلانه عداوته وحده وحسده ضد الإنسان، الذي يرى أنه أفضل منه، وأنه خلق من نار وأدم خلق من طين؛

○ هذا لا يتم إقحام الجانب الديني في العلم كما قد يقول البعض، ولكن هذا تحديداً نحاول تعليمه من نرى تصريحا أن "أبلون ماسكن" نفسه على سبيل المثال ومثقال وغيره من القائمين على هذا التطوير عن ما أسموه "الذكاء الفائق" وما يمتلكه من خط هائل قد أصبح الأسلحة النووية، بل هو نفسه الذي تحدثت عن ربييته عن غرابة أطواره منذ الطفولة! بل هو من ربط بشكل مستمر بين مخاطر "الذكاء الفائق" وبين بعض الرؤى التحليلية أو الدينية عن علامات آخر الزمان التكنولوجي!

○ التطور العلمي والتكنولوجي إذا كان من أجل مصلحة الحقيقة البشرية والمجتمعات فيه تطوّر طبيعي ومطلوب، ولكن حين يخرج الحكمة الخاصة بها ليتعلق بالذكاء الآلي عن السيطرة البشرية فهذا تحول العلم إلى «أداة شريرة»، وإلى «علم زائف»، حيث يوظفه ضد الإنسان ضد المجتمعات بل ضد الحياة والانسانية؛ خاصة حين يتم استبدال الإنسان بأداة أو روبوت، ويتم تهوئيل الإنسان والإعلاء من شأن الأداة والذكاء التكنولوجي الخافت، الذي يقع تحت سيطرة الإنسان من شركات تعمل على أن تتحكم في الإنسان في الدول وفي الحكومات، التي تصاعد اعتمادها بشكل كامل على التكنولوجيا والذكاء الصناعي؛ هل هو شر أم خير؟

باختصار العالم اليوم يمر بمرحلة من انحطاط
 وانهيار الحضارة الإنسانية، ويتبدد دور الوعي الإنساني، وحول
 أهدافه الإنسانية، وحول الإرادة الإنسانية التي أرادها
 الله له، وحول سيئاراته وغريباته مطروحة ما بين
 استعباد الإنسان أو القضاء عليه، لتصبح المسألة
 خاضعة لوجودية حقيقية!

التأديب بين العرف والقانون

نفسه بين نص يعدّ كل اعتداء عنفاً،
ونص يعترف بما يقرّه العرف من حق،
ونص يطلب منه أن يؤدّب ولا يشرح
له كيف.



والعرف يتبدّل من بيت إلى بيت،
ما يراه بيت قسوة لا تحتمل، يراه
بيت آخر تربية حازمة تصنع الرجال.
وبعض الأبناء يمدّ يده وهو يكرّر ما
فعله أبوه معه، مطمئناً إلى أن ما
جرى عليه يجوز أن يجري على ولده.
والغضب لا يعرف حدّاً لم يجد حدّاً.
مكتوباً: فيقبح الأب والأمّ وحدهما
أمامه كلما اشتدّ.

واتمنى أن تجد هذه المسألة طريقها إلى نظر المشرع، عن صريح ما يوضح أن الخط التأسيسي لا يمتد إلى العقاب البدني للأبناء، فبأن تلقتني، بسبب، يختار فيه الألام وطرقتهما، التريية، واحد يعرفه كل أب وأم، والتربية، البيت، الحد الذي يحل الظلم ويحميها، إيمان عليها. وإلى أن الطفل، تبقى، 2015 خطوة أولى، فهو يعد أي اعتداء، إبداء حسدا، ولم يستثن منه الضربة، ف بعض الإباء ذلك. والنص يُقر رسالة، وخوطة نحو تربية يستغني فيها البيت،

العالم لتسبب الآباء صراحة من ضرب أبائهم على أن دولة في 1979م حين كتبت في قانون الوالدين أن الطفل لا يجوز أن يتعرض لمضاجعة بدني و لا لعاملية مهينة. ولم تضع للضع مغنوية على مقاصب بدني و لا يعرف كل أب أن ما بعد اتداء العتي كبير بعد اتداء على الصغير. وأقرب إلى التوتس التي أدت إلى أن 2010م من قانون العلية عبارة كانت تقول أن أدت الطفل من قبله على أن عقاب بدني. و عبارة واحدة. ووض أوضح بد تكتس هناء، و الخالة واحدة.

و كثير من بيوتنا يعرف هذا الطريق جيدا. أبناء وأمهات
 ربابون بالكلمة الهانسة والصبر الطويل، ويحاسبون
 بناءهم بحرمان مؤقت أو جلسة حديث، فيفكر الأبناء
 ذويبن واثقين بأنفسهم. والضربة إن وقعت في بيت كهذا
 ناعين غضبا سبقت صاحبه ثم دُم عليه. والنص الواضح
 ناعين البيوت على ما اختارته أصلا، ويحفظها من ذلك
 غضب.

واللاعنف الذي يتمتع الناس للعالم يبدأ كل يوم من يد
بيرة تمسك نفسها في بيت صغير.

○ قانونية وكاتبة بحرينية
rajabnabeela@gmail.com

«ضربونا وصرنا رجالاً»
جملة يردّها كثيرون بثقّة
لما دار الحديث عن تربية الأطفال،
يقدّمون أنفسهم دليلاً عليها. والجملة
ستحق أن تسمع بإنصاف، فأصحابها
ساروا فعلاً أباء صالحين وموظفين
نساء، وأحبّوا أباءهم وبرّوا بهم إلى
آخر يوم.

وفي الجملة نفسها ما يستوفى قارئ المتأمل. كثير ممن يقولونها تذكرون بعد أربعين سنة اليوم الذي سربوا فيه وسببه الصغير، ويصفون مكان كأنهم يرونه، ولو سئلوا عما علموه من الضربة لتذكروا الألم أكثر مما يتذكرون الدرس.

ومع ذلك يدافع عنها صاحبها
حرارة، لأن الجملة في حقيقتها وفاء

ب يحبه. الاعتراف بأن الضربة آتته
لك الأب، فيحيي اليد التي ضربته لأن
اليد. والمرء يستطيع أن يحب أباه وي
فخار أولاده طريقا غير طريفة، ولا ت
وعادت إلى هذه الجملة يوما ما ك
نه عادة. أسقط طفل صغير ما من
تغرض على الأرض وتلف بعضها،
الضرب أمام المتسوقين. وقت أراقا
صغير، ومع أبيه أيضا، فلعل نظ
سبغة الغضب إلى يد قبل أن يفك
نص له. أقام أبا فاته. أ

مسكون أيدي صغارهم برفق بين الرفا
حاجهم، ومن بقي يرى في اليد وسيل
وكلمة العنف تستدعي في أذهان
الشجار في الشوارع، وقل من يتن
ما يتعلم العنف أول مرة في البيت،
بذي يُضرب لأنه أخطأ قد يتعلم ألا
تتعلم معه درساً آخر يبقى في نفسه ط
ضرب، وأن الأقوى ينهي الخلاف بيده

والقانون في البحرين لم يترك
حماية من العنف الأسري الصادر
مبدئياً أي اعتداء على جسم أحد أفراد
الأسرة، وأبناء منهم. وقانون العدالة
الضامات من سوء المعاملة. الصادر
مركز حماية الطفل، فجعل من مهامه تلقى
الضحايا، ومتابعة الطفل وأسرتهم بالعلاج
غير أن قانون العقوبات يُخرج
استغنى استعمالاً لحق بقره القانون أو الع
استقر عليه الناس زماناً طويلاً حتى
تراجع. وقانون الأسرة كذلك تأديب
وليته، دون أن يقول ما يتذكر ولا أ

حين يصبح التراث مشروعاً للمستقبل

المعاصرة. لكن المشكلة أن هذا "الجمع" ظل في كثير من الأحيان تسوية لغوية أكثر منه مشروعاً متكاملاً. فنحن نقول إننا مع الأوصال والمعاصرة معاً، لكننا لا نحدد دائماً ماذا نعني بالأوصال، ولا أي حدثاً نريد، ولا كيف نتعامل مع اللحظة التي تتعارض فيها بعض عناصر التراث مع بعض متطلبات العصر.

ولعل الخطأ يبدأ من اعتبار التراث كتسعة واحدة ثابتة، فالتراث ليس مجرد عادات ومظاهر، وإنما هو تراكب طويل من الأفكار والتجارب، والقيم والمعارف والمؤسسات، وفي داخله ما يمكن أن يبقى، وما يحتاج إلى إعادة قراءة، وما ارتبط بظروف تاريخية لم تعد قائمة. ومن هنا فإن الحفاظ على التراث لا يعني بالضرورة الحفاظ على كل ما جاء منه بالطريقة نفسها.

ماذا تعلمنا التجارب الأخرى؟
تقدم اليابان مثالا مهماً. فمفند
إصلاحات ميجي، أخذت من الغرب
العلوم والتكنولوجيا والصناعة
والتعليم والمؤسسات الحديثة،
لكنها أعادت توطين هذه العناصر
داخل تجربتها الوطنية. ولم تعتبر
الحفاظ على الماضي هدفاً في ذاته،
بل احتفظت بما رأت أنه قادر على
الاستمرار، وتخلت عن مؤسسات
وممارسات لم تعد صالحة لمرحلة
جديدة.

وتقدم كوريا الجنوبية تجربة
أخرى. فقد اتفقت خلال عقود قليلة
من مجتمع فقير إلى قوة صناعية

وتكنولوجيا، مع استثمار تأثير عناصر من إرثها الكونفوشيوسي في الأسرة والتعليم والاضطراب الاجتماعي واحترام المعرفة. لكنها لم تحفظ ذلك الإرث كما كان، وإنما أعادت تشكيل بعض عناصره داخل مجتمع عصري وتكنولوجيا حديث. أما سنغافورة، فقد بنت دولة عالمية مفتوحة على الاقتصاد والتكنولوجيا، مع المحافظة على تعدها الثقافي والديني واللغوي وبنا هوية وطنية مشتركة. ولا تقدم هذه التجارب وصفا جاهزة للعالم العربي، لكنها تكشف فكرة مهمة: المجتمعات لا



بـقـلـم:

○ خالد فياض

تقدم عندما تخزن بين الماضي والمستقبل، وإنما عندما تعيد تعريف العلاقة بينهما. التراث أصبح متحفا المشكلة إذن ليست في وجود التراث، وإنما في الطريقة التي نتعامل بها معه. إذا تحول التراث إلى متحف عبثا على الحاضر. وإذا تحول إلى مادة غير قابلة للنقد وإعادة القراءة، يمكن أن يصبح موردا ثقافيا للمستقبل. هذا يعني أن السؤال لا ينبغي أن يكون فقط: ماذا يجب أن نحافظ عليه؟ وإنما أيضا: ماذا يمكن أن نعيد اكتشافه؟ وما القيم التي يمكن تحويلها إلى مؤسسات وسياسات وتعليم وثقافة وكيف يمكن أن نحول الذاكرة التاريخية من مجرد

حقائق بالماضي إلى قدرة على إنتاج أفكار جديدة، فبقدر ما الخفية، لا تقاس فقط بقدر ما نحن نحفظه، وإنما بقدر ما يستطيعون أن يضيفوه إلى حياتنا المعاصرة. فمن تصبح اللغة هذا أكثر ونسيلة للتواصل؛ تصبح والتاريخ والمعرفة. يصبح التآخي، يصبح أكثر من سر للأحداث؛ يصبح أجالاً لفهم التحولات. تصبح القيم الاجتماعية أكثر من عادات موروثة؛ تصبح مورداً لإعادة بناء الثقة التماسك والمسؤولية.

لكن المستقبل لا ينتظر
الخطر المقابل هو أن يتحول
الاحتفاء بالتراث إلى بديل عن
صناعة المستقبل. فليس كل قديم
جديراً بالبقاء، كما أن ليس كل

جديد جذيرا بالاتباع، والحدائق
نفسها ليست حزمة واحدة. فالعلم
ليس هو الاستمارة، والتكنولوجيا
ليست هي التقدم وحدها، والاقتصاد
العالمي لا يعني بالضرورة العدالة
الاجتماعية. ولذلك فإن المطلوب
ليس استيراد نموذج جاهز، وإنما
امتلاك القدرة على التعلم والاختيار
وإعادة البناء. وهنا يصبح التراث
جزءاً من مشروع المستقبل، لا
منافساً له.

إن المجتمع الذي يعرف جذوره ليس مضطراً إلى العيش فيها، كما أن المجتمع الذي يتطلع إلى المستقبل ليس مضطراً إلى محو ذاكرته. المهم هو أن يمتلك القدرة على التمييز بين ما ينبغي أن يستمر، وما يحتاج إلى أن يتغير، وما يمكن أن يولد من جديد في صورة مختلفة. وربما تكون المعركة الحقيقية ليست بين ماضٍ نريد أن نحافظ عليه ومستقبل نريد أن نبغاه، وإنما في الطريقة التي ننظر بها إلى ما ورثناه.

فالتراث لا يحيا بتجميده، وإنما
بقدرته على أن يظل منتجًا للمعنى
في عالم يتغير. وما يستحق أن
يبقى من الماضي ليس بالضرورة
ما نحفظ به كما هو، وإنما ما
نستطيع أن نفهمه ونطوره ونمنحه
قدرة جديدة على التفاعل مع أسئلة
الحاضر والمستقبل.

لذلك ربما لا يكون السؤال: كيف نحافظ على ثرائنا؟ بل ماذا نستطيع أن نضع بما ورثناه؟ فالمتجمع الذي يقطع صلته بمباضيه قد يفقد الجزء من معناه، والمتجمع الذي يسيجن نفسه فيه قد يفقد قدرته على الحركة. أما المجتمع الحي، فعلى الذي يعرف جذوره، ويمك في الوقت نفسه شجاعة إعادة النظر فيها.

وحيثما يصح ما ورثناه قادراً على إنتاج فكرة جديدة، ومعرفة جديدة، ورؤية جديدة للمستقبل، لا يعود التراث مجرد ماضٍ نحافظ عليه، بل يصبح مستقبلاً نبدأ من جذورنا.

○ باحث في الشؤون العربية